يوسف بن تاشفين[١] عشرين سنة، وكانت سيرتُه حسنةً؛ صلحت به الأحوال ونجحت الآمال، حَسَدَه أطباءُ البلد وكادوه، ونالوا بقَتْله مسموماً ما أرادوه.

[وذكر وفاته في هذه السنة، وأنَّه][٢] قال عند الموت: [من الخفيف]

آه مِنْ حادثاتِ صَرْفِ اللَّيالي ... فَلِحالي انْظُرْ أَعِظْكَ بحالي
أمسِ أبكيتُ حاسدي شَرَقاً بي ... وهو اليوم رحمةً قد بكى لي

وقال أيضاً: [من الطويل]

هُمُ رحلوا يومَ الخميسِ عشيَّةً ... فودَّعتُهم لما استقلُّوا وَوَدَّعُوا
ولمَّا تولَّوْا وَلَّتِ النَّفْسُ[٣] مَعْهُمُ ... فقلتُ ارْجعي قالتْ إلى أين أَرْجِعُ
إلى جَسَدٍ ما فيه لحمٌ ولا دَمٌ ... ولا هو إلا أَعْظُمٌ تَتَقَعْقَعُ
وعَيْنَيْنِ قد أعماهما كَثْرَةُ البُكا ... وأُذْنٍ عَصَتْ عُذَّالها ليس تَسْمَعُ[٤]

السَّنة الرابعة والثلاثون وخمس مئة

فيها ولد لمسعود ولدٌ ذكر من بنت قاروت بك، فغلقت بغداد سبعة أيام، وفشت المنكرات، فجاء ابنُ الكوَّاز الزَّاهد إلى [باب][٥] بنت قاروت بك، وقال: إنْ أزلتم هذه المنكرات، وإلا لزمنا المساجد والجوامع، وشكوناكم إلى الله تعالى. فحطُّوا التَّعاليق، ومات الولد.

وفيها دخلت خاتون بنت محمد زوجة المقتفي بغداد في تجمُّلٍ عظيم، وكانت قد وصَلَتْ مع أخيها مسعود، وأقامت عنده بدار المملكة، ثم زُفَّت إلى الخليفة وبين يديها

(١) كذا في النسخ الخطية، وهو الموافق لما في «الخريدة»، وعنه ينقل المصنف، وفي «المغرب»: أن الذي استوزره هو أبو بكر بن تيفلويت صاحب سرقسطة، وذكر محققه الدكتور شوقي ضيف في حاشيته أن ابن ذاكور قال في شرحه لقلائد العقيان: إنه وزر لعلي بن يوسف بن تاشفين، ونقل المقري في «نفح الطيب»: ٧/ ٢٨-٣٠ . عن ركن الدين بيبرس أنه وزر لأبي بكر صاحب سرقسطة، ووزر أيضاً ليحيى بن يوسف بن تاشفين، والله أعلم.

(٢) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٣) في (م) و(ش): الروح.

(٤) انظر «الخريدة» قسم شعراء المغرب والأندلس: ٢/ ٣٣٢-٣٣٣ .

(٥) ما بين حاصرتين من (ح) و(م) و(ش).

زوجةُ السُّلْطان مسعود بنت دُبَيْس، وبنت قاروت بك، والوزير شرف الدِّين يحجبها، والمَهْدُ بين يديها، ومراكبُ الخليفة، وكان ذلك في جمادى الأُولى.

وفي رجب تزوَّج مسعود ببنت المقتفي، وحَضَرَ الوزراء والقضاة والشُّهود والأشراف، وتمكَّن ابنُ طِراد الوزير من الدَّوْلتين، ثم جَرَتْ بينه وبين الخليفة وَحْشةٌ، فالتجأ إلى دار المملكة، واستناب الخليفةُ في الدِّيوان ابنَ الأنباري، وقيل: إنَّ الخليفة استوزر نظام الدِّين ابن جَهِير.

وفيها توفي رجلٌ صالح من أهل باب الأَزَج، واجتمع النَّاس، ونُودي للصَّلاة عليه، فوضعوه على سريره ليغسلوه، فَعَطَس، وقام قائماً [فعجب الناس](1)، وحَضَرَتْ جِنازةٌ أُخرى، فصلَّى ذلك الجَمْعُ عليها.

وفيها عاد أتابك زنْكي من بَعْلَبَك بعد أن أفنى من قاتله بها، ونفرتِ القلوبُ منه، ونزل على داريا، وخَرَجَ إليه بعضُ عسكر دمشق وأحداثها، فقاتلوه، فظفر بهم، وأطلق فيهم السَّيْف قَتْلاً وأَسْراً، وراسَلَ جمالَ الدِّين محمد صاحبَ دمشق، وأَنْ يعطيه حِمْص وبَعْلَبَك وما يختار، فمال إلى الصُّلْح طلباً لحقن الدِّماء، فما وافقه أُمراؤه، وابتدأ به مَرَض طال، وتوفي في شعبان، وكان نزولُ أتابك عليها في ربيع الأَوَّل، واتَّفق موتُ محمد في الوقت الذي أُصيب فيه أخوه محمود، وفي تلك الساعة، ودُفن في تُرْبة جَدَّته بباب الفراديس.

وأقاموا ولده عضب الدولة أبو سعيد أبق بن محمد مكانه، وأُخذت له الأَيْمان على الطَّاعة، وعَرَفَ زَنْكي ذلك، فزحف بعسكره إلى البلد طامعاً فيه، وظَنَّ أَنَّ الخُلْفَ يجري بين المقدَّمين، فجاء الأمر بالعكس، وثَبَتَ له العسكر وأحداثُ دمشق، وقاتلوه قتالاً شديداً، وقالوا: هذا كذَّابٌ غدَّار، سفَّاكٌ للدِّماء، وقد رأيتم ما فعل بأهلِ بَعْلَبَك. وقام بقتاله معين الدِّين أُنَر، فَضَعُفَتْ نفسُ أتابك، ورَجَعَ إلى داريا، وكان أُنَر قد بذل للفرنج مالاً ليدفعوا زنكي عنهم، وحمل إليهم المال، والرَّهائن من أقارب المقدَّمين، فاجتمعوا من الحصون والبلاد ليصدُّوه عن دمشق، فلمَّا تحقَّق ذلك رَحَلَ عن دمشق في رمضان طالباً حوران، على نية لقاء الفرنج إن جاؤوا، ثُمَّ عاد في شوَّال إلى غوطة

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

دمشق، ونزل بمرج عَذْراء، فأحرق عِدَّة ضياعٍ من المرج والغوطة، منها حَرَسْتا، وبلغه نزول الفرنج بالميدان في جموعهم، فرحل إلى بَعْلَبَك.

وخرج أُنَر في العسكر، وحاصر بانياس، وفتحها في آخر هذه السنة، وسَلَّمها إلى الفرنج، وكان ذلك في صُلْح الفرنج، وأنهم يسلمونها إليهم.

وبَعَثَ زنكي من بَعْلَبَك يستدعي التركمان من أماكنهم، وخرجت السنة على هذا، ولما عاد أُنَر إلى دمشق ما رأى في يوم السبت سابع ذي القَعدة إلا وزَنْكي قد صَبَّحهم جريدةً على غِرَّةٍ، وقَرُبَ من السُّور، وعَلِمَ النَّاس، فركبوا الأسوار، وفتحوا الأبواب، وخرجوا إليه، فَرَدُّوه، فنزل تل راهط، وساق من الخيل والغنم والجمال والدَّوابّ ما لا يحصيه إلا الله تعالى، ورحل نحو الشمال.

وحَجَّ بالنَّاس نَظَر.

وفيها توفي

أحمد بن جعفر(١)

ابن الفرج، أبو العَبَّاس، الحَرْبي.

كان من الأبدال، لم يتكلَّم فيما لا يعنيه، حسن السمت، كثير العبادة، رآه بعضُ أصحابه بعرفات وهو بالحَرْبية لم يحجَّ في تلك السَّنة.

ودخل عليه بعضُ أصحابه قبل موته بيوم، فقال له: إذا كان غداً واتَّفق ما يكون ـ يعني موته ـ فاخْرُجْ من الحَرْبية، فإنَّك ترى شيخاً قائماً عند العقد، فقل له: ماتَ أحمد ابن جعفر. فلما مات خَرَجَ الرجل، فإذا بالشيخ قائم، فقال له الشيخ: مات أحمد. قال: نعم. قال: ومشيت خلفه، فغاب عني.

ودُفِنَ بباب حَرْب. [سمع أبا عبد الله الحسين بن أحمد النِّعالي وغيره](٢).

(١) له ترجمة في «المنتظم»: ١٠/ ٨٦، و«الوافي بالوفيات»: ٦/ ٢٩١.

(٢) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

أحمد بن منصور بن المُؤَمَّل(١)

أبو المعالي، الغَزَّال، مشرف المارَسْتان العَضُدي.

جاء رجلٌ ليلة الجمعة ثامن عشرين ربيع الآخر(٢)، فقال له: رأيتُ البارحة في المنام كأنَّك قد متَّ. وأشار إلى مكان إلى جانب المارَسْتان، فقال لأصحابه: ترحموا عليَّ، ثم مضى إلى جامع المنصور، فصلى الجمعة، ثم عاد، فلما وصل إلى ذلك المكان الذي عَيَّنه الرجل وقع، فمات فجأة، ودُفِنَ بباب حرب. [سمع أبا الحسين بن النَّقور وغيره، وكان ثقةً] (٣).

جوهر خادم السُّلْطان سنجر(٤)

كان حبشياً، [ويلقب بالمقرَّب، وكان](٣) حاكماً على الدَّوْلة، جاء باطنيٌّ في صورة امرأةٍ، فاستغاث به، فوقف، فرمى الإزار، ووَثَبَ عليه فقتله، وقُتِلَ، وعَزَّ على [السُّلْطان](٣) سنجر.

[فصل، وفيها توفيت:

فاطمة بنت عبد الله الخَبْرِي الفَرَضي(٥)

ولدت في جُمادى الأُولى من سنة إحدى وخمسين وأربع مئة، وتوفيت ليلة الاثنين خامس رجب، ودفنت بباب أبرز، وكانت صالحة زاهدة، سمعت الحديث من أبي جعفر بن المُسْلمة، وابن النَّقور وغيرهم.

---

(١) له ترجمة في «المنتظم»: ١٠/ ٨٧، وأشار الذهبي إلى وفاته في «سير أعلام النبلاء»: ٢٠/ ٦٥.

(٢) في (م) و(ش): الأول.

(٣) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٤) له ترجمة في «المنتظم»: ١٠/ ٨٧، و«الكامل»: ١١/ ٧٦-٧٧، و«النجوم الزاهرة»: ٥/ ٢٦٦.

(٥) لها ترجمة في «الأنساب»: ٥/ ٣٩-٤٠، و«المنتظم»: ١٠/ ٨٨، و«مشيخة ابن الجوزي»: ٢٠٦-٢٠٨، و«اللباب»: ١/ ٤١٨ - ٤١٩، وأشار الذهبي إلى وفاتها في «السير»: ٢٠/ ٦٥ والخبري، بفتح الخاء المعجمة، وسكون الباء الموحدة في آخرها الراء، هذه النسبة إلى خَبْر، وهي قرية بنواحي شيراز من فارس.

وذكرها جدِّي في «مشيخته»، فقال: فاطمة بنت عبد الله بن إبراهيم بن حكيم الخَبْرِي خالة أبي الفَضْل بن ناصر، وأثنى عليها، رحمها الله تعالى[١].

وفيها توفي:

محمد بن بُوري صاحب دمشق[٢]

وكنيته أبو المُظَفَّر، ولقبه جمال الدين، كان حسن السيرة[٣]، وكانت ولايته لدمشق سنة، وقد ذكرناه[٤].

فصل: وفيها توفي:

المهدي بن محمد، أبو البركات الواعظ[٥]

نشأ ببغداد، وكان حسن العبارة، وسمع الشيوخ، وسافر إلى الشرق إلى جَنْزَة، فَخُسِفَ بها، وهلك من المسلمين خَلْقٌ كثير، وكان مِمَّن هلك.

سمع ابن البَطِر، وأبا الخَطَّاب الكَلْواذاني[٦] وغيره، وكان صالحاً، ثقة] [٧].

يحيى بن علي بن عبد العزيز[٨]

أبو الفَضْل، قاضي دمشق.

(١) انظر «مشيخة ابن الجوزي»: ٢٠٦، ٢٠٨.

(٢) له ترجمة في «الكامل»: ١١/ ٦٨، ٧٣، و«وفيات الأعيان»: ١/ ٢٩٦، و«الوافي بالوفيات»: ٢/ ٢٧٣، و«سير أعلام النبلاء»: ٢٠/ ٥١ وفيه تتمة مصادر ترجمته.

(٣) كذا قال، وقال الذهبي والصفدي: إنه كان سيئ السيرة.

(٤) انظر ص ٣١٩، ٣٢٢.

(٥) له ترجمة في «المنتظم»: ١٠/ ٨٨، و«سير أعلام النبلاء»: ٢٠/ ٥٢.

(٦) ابن البطر يكنى أبا الخطاب، وقد سلفت ترجمته في وفيات سنة (٤٩٤هـ)، ولم يذكر من ترجم لمهدي بن محمد سماعه من أبي الخطاب الكلواذاني، فلعله وهم لتماثل الكنية بين الاثنين، والله أعلم، انظر «المنتظم»: ١٠/ ٨٨.

(٧) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٨) له ترجمة في «تاريخ ابن عساكر» (خ) (س): ١٨/ ١٦٩، و«الكامل»: ١١/ ٧٧، و«طبقات الشافعية» للسبكي: ٧/ ٣٣٤-٣٣٥، و«سير أعلام النبلاء»: ٢٠/ ٦٣-٦٤، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

وهو جَدُّ الحافظ ابن عساكر لأمه، ولد سنة أربعٍ وأربعين وأربع مئة، وتفقَّه ببغداد على أبي بكر الشَّاشي، وبدمشق على القاضي المَرْوَزي، وحَجَّ على العراق سنة خمس عشرة وخمس مئة، ورأى الخطيبَ ولم يسمع منه، [وسمع من نَصر المقدسي وطبقته، وروى عنه سِبْطُه الحافظ ابن عساكر](١).

وتوفي بدمشق، ودفن بمشهد القدم، [وكان ثقةً، حافظاً، كثير العلم والحديث](١).

السَّنة الخامسة والثلاثون وخمس مئة

فيها نَقَلَ المقتفي المُظَفَّر بن محمد بن جَهِير من الأُستاذ دارية إلى الوِزَارة.

وفيها قدم [بغداد](١) رجلٌ من السَّواد، فسكن قريةً على باب بغداد، وأظهر الزُّهْد، فقصده الناس [من كل جانب](١)، واتَّفق أنَّه مات لبعض [أهل](١) السَّواد ولدٌ، فدفنه قريباً من قبر السبتي(٢)، فمضى ذلك المتزهِّد، فَنَبَشه، ودفنه في موضعٍ آخر، ثم أصبح، فجاءَ إليه زوَّارُه. فقال: رأيتُ البارحة عليَّ بنَ أبي طالب، فقال لي: إنَّ بعض أولادي في المكان الفلاني. فانقلبت بغداد، وجاء النَّاس يُهْرعون إليه، وسألوه أن يُريهم المكان، فجاء إلى الموضع الذي دَفَنَ فيه الصَّبيَّ، فحفر، فظهر الصَّبيُّ، [وكان أمرد](١)، فمن وَصَلَ إلى قطعةٍ من أكفانه فكأنه قد ملك الدُّنيا، وجاؤوا بالبخور والشموع والماء الورد، وأخذوا تراب القبر للتَّبرك، وجعل النَّاس يقبِّلُون يد الزَّاهد، ويبكون ويخشعون، وبقوا أياماً على هذا، والميت مكشوفٌ يراه كلُّ أحد، فتغيَّرت رائحتُه، وجاء حُذَّاق بغداد، فقالوا: هذا له منذ أربع مئة سنة، وكيف تتغير رائحته! وجاء السَّوادي يزور الزَّاهد، ويتبرَّك بالقَبْر، فاطَّلع فيه، فعرفه، فصاح وقال: ولدي والله، وكنت دَفَنْتُه عند السبَتي، فقوموا معي. فقاموا، وجاؤوا إلى المكان، فنبشوه فلم يروا فيه أحداً، وهَرَبَ الزَّاهد، وتبعوه، فأخذوه وقرَّروه، فاعترف، وقال: إنما عملتُ ذلك حيلةً. فشهَّروه على جَمَلٍ، وعزَّرُوه.

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) كذا، ولعلها السِّبِيي.